المحاضرة4: إجراء التمثل والمحاكاة

أولا: المحاكاة

أ- **لغة:** هي كلمة مأخوذة من حكوت الكلام أي نقلته، وتعني المماثلة والمشابهة في الفعل والقول"1، فمثلاً عندما أقول: حاكيت فلاناً يعني أنني فعلت نفس فعله أو قلت نفس قوله، وورد في بعض المعاجم أن المحاكاة كلمة مرافة للتقليد، وتعني إعادة الشيء تماماً كما هو مثل تقليد النحاس الذهبي بالذهب.

ب-اصطلاحا: المحاكاة كلمة أصولها يوناينة قديمة وقد اختلف العلماء والمفكرون حول تعرفها اصطلاحاً فمنهم من قال إنها تعني المماثلة والمشابهة، ومنهم من قال إنها تعني نقل الواقع، واتفقوا أخيراً على أنها نقل للعمل الفني الواقع بصورة حيوية وبعيداً عن النسخ. تقوم نظرية المحاكاة على مبدأ محاكاة الطبيعة لا بوصفها كلا بل لما فيها من مظاهر عامة ودائمة صالحة لكل فضاء و زمان[2]،أن ينقل العمل الفني الواقع نقلًا دقيقًا يتسم بالحيوية والإبداع ويبتعد عن النسخ، وبذلك تكون المحاكاة خلّاقة ومتميزة في كل مرة.[3].

ج- **جذور نظرية المحاكاة**

تعود جذور المحاكاة إلى تأثر الأدب الروماني بالأدب اليوناني، حيث قامت حرب بين الرومان واليونان وقد استحال هذا الغزو الثقافي إلى محاكاة لنصوص الأدب اليوناني، وقد قال أفلاطون أن الشعر قائم على التقليد، كما قال إن الشعر الذي يحتوي على المحاكاة يكون أكثر أنواع الشعر تأثيراً وخطراً لأنله أثراً كبيرا على السامعين.

د-أنواع المحاكاة

إن البداية لكلمة المحاكاة صدرت عن الفيلسوف أفلاطون في كتابه "المدينة الفاضلة" والذي احتوى على عدة أنواع من المحاكاة وأمثلة على كل نوع حتى يتمكن القارئ من تمييزها ، ومن أهم هذه الأنواع: **المحاكاة البسيطة**: والتي تقوم على تصوير الأشياء كما هي في الواقع. **محاكاة الجوهر**: والتي تقوم على تصوير الأشياء كما يراها الناس. **محاكاة المثل الأعلى** : وتقوم على تصوير الأشياء كما يجب أن تكون.

هـ-**المحاكاة عند أفلاطون:** تقوم نظريّة المُحاكَاة في الأدب عند أفلاطون على أنّ المحاكاة هي جوهر الفن، فهي عرض نسخة من الطبيعة، حيث يُعتبر كل الإبداع الفني شكلاً من أشكال المحاكاة. وبالتالي فالفن يهدف إلى تمثيل هذا النموذج المثالي مع أن أفلاطون وضع أسس نظرية المحاكاة في الأدب من خلال فلسفته، إلا أنه لا يرى أن ما يقوم به الشعراء في محاكاتهم للواقع إبداعًا خالصًا.[4]

و-**المحاكاة عند أرسطو**: اعتبر أرسطو الفن محاكاة لما في الطبيعة، لكن هذه المحاكاة ليست نقلا حرفيا أو فعلا آليا ، لأن الفن ليس مرآة ، بل هي إلهام خلاق، بواسطتها يمكن للشاعر أن ينتج شيئا جديدا مستخدما في ذلك ظواهر الحياة و أعمال البشر المتسمة بالجدية و الكمال في إطار لغوي منمق، و هكذا يصنع الفنان وهو يحاكي الطبيعة ما هو أجمل منها . ركز أرسطو على فكرة المحاكاة بشكل مختلف. حيث يرى أن المحاكاة ليست ضعفاً في القوة العقلانية، بل هي قوة

تُميز الشعر والفنون الجميلة. وهكذا يجعل أرسطو الشعر يُقارن بالموسيقى، حيث يصبح تمثيلاً لمشاعر الإنسان وعواطفه، وهذا يوسع نطاق المحاكاة بنظرية أرسطو.

ز-**المحاكاة عند الفلاسفة العرب** :استعارَ الفلاسفة العرب من اليونان نظريّة المحاكاة في الأدب، لكنّهم خلصوها من أسطوريّتها وطابعها الوثنيّ، وقرّبوها إلى العقل والمنطق، وبذلك لم يَعُد النص الشعريّ مُحاكاةً لواقع هو نفسه محاكاة لعالم غير مَرئيّ، إنّما صار يُعبَّر عنه بالبيان والإفصاح، وهذا البيان الصادر عن اللسان هو محاكاة لِما في الأذهان من أفكار وصور، **ومن هولاء الفلاسفة ابن رشد: اهتم** بقضية المحاكاة في الأدب والتي تتجه برأيه نحو ما هو موجود لا ما هو ممكن أن يكون موجودًا، وبذلك يكون قد ابتعد عن التخييل، واتجه نحو العقلانية في الأدب عمومًا والشعر خصوصًا، فهو يرى أن المحاكاة تهدف إلى التعقل لا إلى التخييل، وبذلك يكون ابن رشد اتجه في رأيه عن نظرية المحاكاة في الأدب إلى الوظيفة الأخلاقية للشعر وحصر المحاكاة فيها دون غيرها من الوظائف الأخرى التي يؤديها الشعر من خلال محاكاته للواقع.

ك- **المحاكاة في التعبير الكتابي:** هي مهارة تمكّن الإنسان من عملية تقليد نشاط أدبي أو فني من الأنشطة القابلة للمحاكاة والنسج على منوالها، وهي القدرة على إنتاج نص آخر في موضوع مغاير للنص الأصلي وإعادة كتابته بما يشبهه أو ما يماثله وذلك باعتماد تقنيات المحاكاة. وتعتمد المحاكاة جملة من التقنيات:

تقليد الجمل والعبارات والتراكيب. / *مراعاة خصائص الأسلوب الأصلي ومميزاته. / *الاحتفاظ ببعض الجمل التي تتكرّر في النص الأصلي. / * اعتماد الترادف وتوظيف معجم مناسب للموضوع المعالج.

ل- **دور المحاكاة في مجال التعليم:** تسهّل المحاكاة التعليم والتدريب، وتقدّم إمكانات كبيرة للتعلم الفردي والجماعي حيث تستجيب استجابة كاملة لجعل التعليم وفقا لقدرات المتعلمين واحتياجاتهم، كما أنّا من خلال ما توفّره من إمكانيات تدريبية متنوعة تتيح فرصا أكبر لتنويع طرائق التدريس . **أمّا في مجال الكتابة:** تعدّ المحاكاة من أهم التقنيات التي تتيح للمتعلم التعلّم بيسر وتسمح له بالتدريب وتساعده على تنمية قدراته اللغوية والفكرية والإبداعية، وذلك من خلال تعويده على قراءة نماذج مختلفة من النصوص، وهذا ما يساهم في إثراء رصيده اللغوي ويمكّنه من اختيار الألفاظ والعبارات المناسبة وترتيب الأفكار **مثال :قصيدة وداد لمحمد عيد آل خليفة:** عرض في عاصمة الجزائر فيلم) وداد (العربي، فنظم الشاعر قصة الفيلم في هذه القصيدة بعد مشاهدته له. نشرت في جريدة البصائر سنة 1937..

إن رمت تجزى عن يد ...*... بيد جزاء لن يضيع

فاشكر كما شكرت) ودا ...*... د (فضل مالكها الوديع

إذ أدبر العيش المريـ ...*... ح وأقبل العيش المريع

وابتاع سيدها الفتى ...*... ما ابتاع بالدين الفظيع

وأراد تأمين المبيـ ...*... ـع فعز تأمين المبيع

قالت له :بعني وهب ...*... ثمني وإخلاصي شفيع

لا أستطيع أراك كـ ...*... ـلا مفلسا لا أستطيع.

وهي قصيدة كتبها الشاعر بعد متابعته لفيلم سينمائي يحكي قصة وداد، وهذه أيضًا محاكاة للمحاكاة، فكاتب الفيلم السينمائي حاكى الواقع من خلال العمل التمثيلي الذي ألّفه، ومن ثم جاء الشاعر وحاكى هذا العمل السينمائي بقصيدة تحكي قصة وداد وتفاصيلها.[5]

ثانيا: التمثّل

ورد في التعريف اللغوي التمثّل: بمعنى تصور مثاله، وبالشيء جعله مثلا، أو مثالا هذا مثل تتمثله، وتتمثل به.[6]

أمّا التعريف الاصطلاحي: مجموعة من التصورات والعبارات الشارحة التفسيرية التي تنبثق من الحياة اليومية، إنّها تماثل في في مجتمعنا أساطير ، وأنظمة المعتقدات في المجتمعات التقليدية .، ويعرف التمثلأيضا استيعاب الخبرات الجديدة وتصنيفها وتوزيعها على تراكيب فكرية منظمة سابقة بطريقة تكاملية.

أمّا التمثل في علم النفس: «التمثل نشاط ذهني يتطور بناء على تفاعل و استدخال الطفل للمحيط الخارجي عبر محاكاة مجموعة من النماذج الخارجية الحركية و اللغوية» فالتمثل نشاط لاحق لمحاكاة أفعال و أقوال الناس، بل يتطور بناء على المحاكاة ، فينتقل الفرد إلى بناء،أو انتاج معادل لها أي نسخة منها ، ولهذا فالتمثلات تنحدر من التجربة الإدراكية وتتطور عبر تحريك نشاط المحاكاة،وينقسم التّمثل إلى قسمين :الأول: يحيل على معارف المثبتة في الذاكرة البعيدة المدى ويعكس تصورات الفرد حول مجموعة من المواضيع غير الآنية والثاني: تمثلات ظرفية داخل سياق خاص.7

الهوامش

1- الفيروزآبادي : القاموس المحيط ،راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث ،القاهرة، دط 2008،ص:390.
2- سعيد علوش : معجم مصطلحات الأدبية المعاصرة ، ط1،دار الكتاب اللبناني (بيروت) ، 1985، ص: 72.
3- مديونة صليحة، نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر، صفحة 3-4. بتصرّف.
4- شوقي ضيف ، في النقد الأدبي، ط 6، دار المعارف ،القاهرة ،1962ص: 15. بتصرّف.
5- كتاب ديوان محمد العيد آل خليفة، ص: 33.
6- الفيروزآبادي: المعجم المحيط ،ص:47
7- سعيدة عميري : التمثلات الذهنية واستدخال اللغة : مقاربة سيكومعرفية نحو نموذج إمبريقي مجلة التدريس المغرب ع8، 2016،.1508.